

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

البعد الأخلاقي في التدريس ومسؤولية المعلم

The ethical dimension of teaching and teacher responsibility

قايدي نبيلة*

جامعة الجزائر 02، (الجزائر). nabila.kaidi@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2026/03/01

تاريخ القبول: 2026/02/01

تاريخ ارسال المقال: 2025/12/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

هدفت هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على أحد الجوانب الجوهرية في العملية التربوية، وهو الجانب الأخلاقي والإنساني الذي أهمل طويلاً في الدراسات التربوية لصالح المقاربات التقنية المرتكزة على الأداء والقياس. فالمدرسة، رغم كونها فضاءً لاكتساب المعارف، تُعد أيضاً مجالاً لبناء القيم وترسيخ المبادئ التي تسهم في تكوين شخصية المتعلم. ومن هذا المنطلق، يبرز الدور الأخلاقي للمعلم بوصفه عنصراً أساسياً في تحقيق التربية الشاملة التي تدمج بين المعرفة والسلوك. وتعمل هذه الدراسة على تقديم قراءة تُعيد الاعتبار للبعد الأخلاقي باعتباره جزءاً من الممارسة البيداغوجية اليومية، مرتبطاً بالمنهج الخفي الذي ينقله المعلم من خلال مواقفه وسلوكياته دون تعليم مباشر. كما تتناول الدراسة المعلم كفاعل تربوي له دور حاسم في تفعيل المنهج التربوي في واقعه العملي، بما يحمله من مسؤولية في ترسيخ قيم إيجابية وتعزيز العلاقات التربوية. وتهدف الورقة في النهاية إلى إبراز أهمية تعزيز البعد الإنساني في التعليم كرافعة لتحسين جودة العملية التربوية.

الكلمات المفتاحية: البعد الأخلاقي، المعلم، المسؤولية، التدريس، المنهج الخفي.

Abstract :

This research paper aims to shed light on one of the fundamental aspects of the educational process, which is the ethical and human aspect that has long been neglected in educational studies in favor of technical approaches based on performance and measurement. School, although it is a space for acquiring knowledge, is also a field for building values and consolidating principles that contribute to shaping the learner's personality. From this perspective, the moral role of the teacher emerges as a fundamental element in achieving comprehensive education that integrates knowledge and behavior. This study works to provide a reading that reconsiders the ethical dimension as part of daily pedagogical practice, linked to the hidden curriculum that the teacher conveys through his attitudes and behaviors without direct education. The study also addresses the teacher as an educational actor who has a crucial role in activating the educational curriculum in his practical reality, with the responsibility he bears in establishing positive values and strengthening educational relations. Ultimately, the paper aims to highlight the importance of enhancing the human dimension in education as a lever for improving the quality of the educational process.

Key words: ethical dimension, teacher, responsibility, teaching, hidden approach.

مقدمة:

تسعى أنظمة التعليم في معظم دول العالم إلى الارتقاء بالعملية التربوية التعليمية التي تحتكم في كل مرة إلى آليات التقويم والتقييم التي أرسنها في سبيل الوصول إلى نموذج أو نماذج للتعليم النوعي، وفي ظل زيادة الطلب على

التمدرس كمؤشر قوي لمواجهة المزيد من التحديات وفي سياق هذه العملية يجد المعلم نفسه حلقة في سلسلة من التراتبية الهرمية التي تملي عليه في كل مرة موجة من التغيرات والتشريعات التي تهدف إلى عصنة العملية التعليمية ومواكبتها للتطورات العلمية والتكنولوجية من أجل تحسين الأداء معتمدة في ذلك على مبدأ تنوع المقاربات خاصة البيداغوجية منها.

ومن جهة أخرى الواقع التربوي اليوم يفرض على الفاعلين فيه عموما وعلى المعلم على وجه الخصوص تحديات جديدة ناهيك عن المفارقات والتناقضات التي لا يمكن إدراكها إلا من خلال الممارسة اليومية للفعل التربوي، فخصوصية المجال تفرض على القائمين عليه التعامل مع الطبيعة الإنسانية التي تلزمن التحلي بالحذر لأنه يفترض أن الغاية من التعليم بناء إنسانا فاعلا في مجتمعه، مندمجا مع قيمه ومعاييره متطلعا للارتقاء بخصوصيته الثقافية لتأسيس الوعي الذي يسمح بالتعايش مع الآخر والاختلاف.

وباعتبار التدريس عملية ديناميكية تفاعلية فالموقف التعليمي يتطلب عمليا تطبيق مقررا رسميا تشكل المعطيات المعرفية أهم مرتكزاته، إلا أن سيرورة العملية في جوهرها تعتمد على الوعاء الأخلاقي ويحتل المعلم المرتبة الأولى في تسويق الرسالة التربوية وباعتباره أحد أهم أطراف العملية التعليمية. وفي غالب الأحيان يتوقف عليه نجاحها فيفترض به أن يكون واعيا بخطورة وأهمية دوره وكذا المسؤولية الثقيلة التي تقع على عاتقه، فمن الضروري إذا أخذ بعين الاعتبار جملة من الشروط الموضوعية التي تؤسس أرضية صلبة لأخلقة الفعل التربوي في ظل التطور التقني والتكنولوجي المذهل والمتسارع كرهان جديد، مما جعل هذه المسألة مطلبا ضروريا في الوقت الراهن وأطلق عليه اصطلاحا التربية الأخلاقية.

المشكل المطروح هنا هل المعلم (المربي) اليوم واعى بأدوار الفعلية ومسؤولياته الأخلاقية اتجاه المتدريس؟ كيف يتصرف في ظل التراجع الأخلاقي بما فيه تبعات تراجع دور الأسرة التربوي كما أشارت إليه الكثير من الدراسات في المجال؟ هل يمكن الحديث عن سلطة المعلم الأخلاقية في ظل تراجع سلطة المعلم المعرفية؟ كيف يمارس المعلم مسؤولياته في إطار المنهج الخفي؟

المبحث الأول: ضرورات الاهتمام الجانب الأخلاقي في التدريس

المطلب الأول: علاقة الاخلاق بالعملية التعليمية والتربوية

تشكل المسألة الأخلاقية منعرجا حاسما في إرساء بيئة تربوية صحية ولطالما كانت هذه المسألة محط اهتمام من قبل المفكرين والمهتمين بالشأن التربوي سواء الكلاسيكيين منهم أو المحدثين مع الأخذ بعين الاعتبار الجوانب الأخرى التي تتقاطع فيما بينها من أجل بناء الموقف التعليمي في إطار الممارسات التربوية والبيداغوجية الملائمة، واستشعر المفكرين الكلاسيكيين أهمية هذا البعد في استقرار ونجاح العملية التعليمية، مما ينعكس إيجابا على النظام التربوي ككل وعلى المجتمع، حيث ذهب اميل دور كايم إلى أبعد من ذلك في اعتبار المسألة الأخلاقية القيمة من الأدوار الرئيسية للمدرسة في إطار التنشئة الاجتماعية، وهذا ما عبر عنه في مؤلفه التربية الأخلاقية بحيث يشير إلى أن التربية تمكن المجتمعات بوصفها أداة للتنشئة الاجتماعية هي التي تخلق التواصل والانضباط في علاقة الفرد بالمجتمع، حيث تغرس معايير المجتمع ومعتقداته وقيمه في الأفراد وتنقل القوانين الاجتماعية، وكذلك الحجج المنطقية التي تفسر

بوضوح إمكانية الخضوع لها، فعملية التربية بحد ذاتها عملية اجتماعية ويشير دور كايم أيضا إلى وظيفة النظام التربوي بوصفه نظام يقوم بنقل معايير وقيم المجتمع من جيل إلى جيل ويحقق التجانس ويغرس في الطفل التمثيلات التي تدعم الحياة الاجتماعية، كما يؤكد على الدور البارز للمعلم كممثل للقيم الأخلاقية في المجتمع¹.

تعتبر الأخلاق ضرورة لكل من المعلمين والمتعلمين، حيث يتفاعلون مع بعضهم البعض ومع المعرفة التي يتحدثون عنها، أن التدريس والتعلم ليس أنشطة محايدة بل ينظمان خيارات ومسؤوليات أخلاقية، وفي ظل التدريس الحديث يركز على إشراك المتعلم في العملية التعليمية بوصفه عنصرا فاعلا يحمل خيارات سابقة يسعى إلى تصحيحها ومراجعتها وإعادة بنائها، فالمعلم إذا لا يعد ناقلا للمعلومات فقط وإنما موجهها يسعى إلى ضبط نشاطات المتعلم وتقويمها². هذا المسعى يبرز المتعلم ككيان مستقل يجب على المعلم بالدرجة الأولى أن يقدره ويتفاعل معه من منطلق إنساني وأخلاقي لأن الاكتفاء بالمنطلق المهني قد لا يفي بالغرض لأن مد جسور الثقة بين الطرفين ليس بالشيء الهين، فالمدرسة إذا ليست مجرد فضاء للتعليم فقط وإنما هي بيئة ديناميكية وملائمة لصقل الشخصية وبناء معالمها مع تشكيل الهوية الأخلاقية، ولهذا فإن كل تفصيل ومهما كان صغير في هذه البيئة من تصرفات المعلمين إلى أسلوب الإدارة إلى القوانين وطرق الامتثال لها تساهم بشكل كبير في تعزيز السلوكيات الإيجابية وتجسد الأخلاق في حياتنا اليومية.

المطلب الثاني: أبرز ضرورات التي تستوجب الاهتمام بالبعد الأخلاقي في العملية التربوية

ويمكن الحديث عن ضرورات الاهتمام بالجانب الأخلاقي في التدريس وإبراز أهميتها في النقاط التالية:

الفرع الأول: التحولات الكبرى التي شهدها العالم على كافة الأصعدة

شهد العالم تحولات كبرى على كافة الأصعدة خاصة الجانب المتعلق بالتطور التكنولوجي وانعكاساتها السلبية على الهوية ومنظومة القيم الخاصة بمجتمعاتنا الإسلامية، مما أدى إلى تنامي الظواهر السلبية في الحياة المدرسية الناجمة عن الانسياق وراء الاستهلاك اللاواعي للمنتجات الرقمية ومختلف التطبيقات، وهذا أحدث شروخ كبيرة في مستويات عديدة في النسيج الاجتماعي في مقدمتها الانحلال الخلقي والعنف في المدارس، وهذا ما تؤكد بحوث ودراسات أكاديمية في المجال التربوي وتطور النقاش لضرورة تفعيل التربية على القيم والاهتمام بآليات تفعيل البعد الأخلاقي داخل المدرسة³.

الفرع الثاني: التراجع الصادم في أدوار المعلم

ويرجع ذلك لتبني النزعة التقنية في التعليم إذ انحصر دوره في تنفيذ المقررات الرسمية والالتزام بجدول مهام محددة سلفا، مما أحدث فجوة في غياب لحضوره الرمزي ودوره الحساس والدقيق في غرس القيم والتنشئة العاطفية وتمكين المتعلم من تمثله كقدوة، وهو أيضا في التجربة الحية للحياة التربوية سلاح ذو حدين⁴. لأن ممارساته نابعة من قناعاته المعرفية واتجاهاته الفكرية فحسب رأي أسعد وطفة فإن استبعدت التجربة الحية للحياة المدرسية التي تتمثل في التلاميذ والمعلمين والإدارة، وكذا طبيعة التفاعل القائم بين مختلف أطراف العملية التربوية يولد نسق من المفارقات بين الأطروحات النظرية والواقع التربوي الحي. وهذا يعني أن النموذج النظري للتعليم لا يمكنه وفقا لهذه الحالة أن

يحقق التكيف المستمر، فالمفارقة بين النظرية والتطبيق يؤسس للفروق الكبيرة بين المنهاج الشكلي وبين الواقع الفعلي للعملية التعليمية⁵.

الفرع الثالث: أهمية المدرس في العملية التربوية

من الملاحظ كذلك أنّ الجميع يتفق على أهمية دور المدرس في قيادة العملية التربوية وفي ذات الوقت لا يمكننا إهمال التحديات الكبرى التي يفرضها الوقت الراهن لأننا شئنا أو أبينا نعيش حقيقة جديدة بمعالم جديدة اجتاحت كل المجالات وغيّرت في مستويات عديدة أهمها أنظمة التفكير والذهنيات حيال كل ما يخص الإنسان ومستقبله، وأما فيما يخص المعلم فإنه أمام نوعين من التحديات أهمها التحدي المعرفي والتحدي القيمي. فالأول يخص الكفايات والمهارات التي يتعيّن على المدرس أن يتحكم فيها بحيث لم يعد يقيم كما كان في السابق أيّ على كم المعلومات التي يمتلكها وأما التحدي القيمي فهو تحدي بالغ الأهمية بحكم عمق التحولات التي مسّت العالم ومجتمعاتنا الإسلامية بشكل خاص بما أفرزته موجة التحديث والعولمة، بحيث انبثقت فجوات قيمية بين جيل المدرسين وجيل المتدربين، فأصبحت عملية التدريس أكثر تعقيدا الشيء الذي يستدعي إعادة النظر في منطلقات الممارسة التربوية. ومن جهة أخرى إذا حاولنا فهم تبعات هذين التحديين المعرفي والقيمي على سلوك المتدربين في الوطن العربي تشير الدراسات والأبحاث التي تقدم مؤشرات هامة على واقع التدريس، بحيث تفضي إلى وجود حالة من العجز والعقم في إنتاج المعرفة وإعادة إنتاجها حيث يتركز نشاطهم على الإملاء والحشو والسرد.

بالإضافة لمؤشر آخر بارز وواسع الانتشار ألا وهو الممارسات غير الأخلاقية في الأوساط التربوية من ضمنها الغش والعنف بأنواعها والاعتداء على تجهيزات المؤسسات التربوية⁶.

وعلى العموم وفي ظل التدهور الأخلاقي الذي تشهده المجتمعات المعاصرة بفعل الميديا الجديدة التي أدمن عليها الأفراد وأدت إلى تحولات عميقة في النسق القيمي والتربوي نستطيع القول أنه من الضروري الدعوة لتأسيس خطاب أخلاقي جديد من أجل التصدي لهذا التدهور المميت الذي يهدد المجتمع، وباعتبار المدرسة من ضمن أهم مؤسسات المجتمع وما يقع للمجتمع بمسها هي كذلك لم تسلم من الانهيار وتراجع المشروع التربوي في الجانب الأخلاقي وفي ظل هذه المعطيات يتعاظم دور التربية الأخلاقية ودور المعلم مع الأخذ بعين الاعتبار تطويره فكريا وثقافيا⁷.

المبحث الثاني: مسؤولية المعلم في إطار المنهج الخفي

المطلب الأول: المعلن بين اكراهات اليومية في الممارسة التربوية والمتطلبات البيداغوجية

يظهر المعلم اليوم في موقف الدفاع عن نفسه أمام أصابع الاتهام العديدة التي تحمله مسؤولية تردي الأوضاع في المدارس، وهي بذلك تسيء إلى مكانته الاجتماعية ورمزيته في المجتمع وتجعله يتحمل أخطاء الشركاء الآخرين الفاعلين في المنظومة التربوية هذا هو المعنى الذي يسوقه الرأي العام سواء في سياقه الاجتماعي أو الإعلامي، ويرجع ذلك إلى أن النظام التربوي في حد ذاته يعتمد على المعلم في تحقيق أهدافه باعتباره قائدا للعملية التعليمية ورغم أن الخبراء يؤكدون أن فعالية المعلم في التدريس والممارسة التربوية مرهون بتوفير السبيل التي تكفل نجاحه، بحيث لا يمكننا على الإطلاق إنكار دور العوامل المدرسية وما لها من تأثير مباشر على أداء المعلم إلا أنه من الناحية الإجرائية وفي غالب

الأحيان يجد المعلم نفسه في مواجهة مشهد مشوه تعثره الكثير من التناقضات، مما يزيد الأمر تعقيدا زيادة الطلب على التعليم، بالإضافة إلى غياب التواصل بين الشركاء والفاعلين الآخرين علما أن المعلم مطالب بتنفيذ مقرر فهو يباشر مسؤولياته التي تتنوع بين معرفية وبيداغوجية وأخلاقية لكن يبقى جزء من نشاطه في سياق خفي يعبر عن الوضعيات والمعتقدات والمواقف والسلوكات التي لم يشر إليها المنهج الرسمي ويكاد يجمع أهل الاختصاص على أهمية المنهج الخفي في تقديم فهم عميق للعملية التربوية وحين نسلط الضوء على الدلالات والمعاني التي ساقها معظم المنشغلين بهذه المسألة نلاحظ أنها اختلفت في بعض جزئياتها إلا أنها تصبّ في نفس المعنى وسوف نعرض البعض منها على سبيل المثال لا الحصر.

المطلب الثاني: تحييد مفهوم المنهج الخفي

يعرفه رونالد ميغان بأنه كل الأشياء التي يتم تعلمها زيادة على المنهج الرسمي ويعرفه فليب جاكسون الذي يعتبره الباحثون الأمريكيون مؤسسا للمنهج الخفي بأنه يتمثل في النواتج الثانوية للعملية التربوية أو كل النواتج الناجمة عن المنهاج الصريح وهو وفق هذا التصور يرى أن المدرسة تتبنى منهجين متكاملين في الجوهر والمضمون أحدهما خفي والآخر ظاهر، فالمنهاج الظاهر يعمل على نقل المعارف والمعلومات بصورها المختلفة في حين يقوم المنهاج الخفي على تعليم التلاميذ أشياء متعددة من ضمنها كفايات الخضوع والانصياع أمام السلطة وكيفية الاندماج في إطار الحياة الاجتماعية⁸.

أما اليزابيث فالانس Elizabeth Vallance ترى أن المنهج الخفي موجود في كل شيء في المدرسة، سواء تعلق الأمر بتفاعل الطلاب والمعلمين أو في بنية الصف والتنظيمات المدرسية والمنظومات القيمية وفي مختلف الفعاليات المدرسية مثل عملية اكتساب القيم وعملية التنشئة الاجتماعية وعملية التحصيل الدراسي أي يشتمل على كل ما هو في المدرسة وعملياتها المختلفة عدا تعلم الطلاب الأكاديمي⁹.

ويعرف كذلك بأنه كلا مركبا من المعارف والخبرات والاتجاهات والقيم والمهارات التي يكتسبها المتعلم خارج إطار المنهج المعلن بحيث يعمل بها بصورة تلقائية بعيدة عن رقابة المعلم، ويمكن أن نتلمسها من خلال تفاعله مع أقرانه ومع المعلمين والاداريين، وكذا من خلال استيعابه للقوانين والتعليمات بالإضافة إلى التعلم عن طريق القدوة وبالملاحظة وممارسة الأنشطة عبر الصفية¹⁰.

من خلال هذه التعاريف يمكننا أن نقول مفهوم المنهج الخفي يشير إلى مختلف العمليات التربوية غير المبرجة وغير المعلنة التي تحدث داخل الفضاء المدرسي، حيث يكتسب التلميذ أشياء إضافية إلى جانب ما تهدف المدرسة تعليمه وعلى هذا الأساس يعتبر المنهج الخفي أحد الآليات الهامة التي تساعد في فهم وتفسير العملية التعليمية باعتباره أحد المفاهيم البارزة التي توظف في الكشف عن العوامل المخفية في الحياة المدرسية.

يشير الكثير من التربويين إلى أهمية المنهج الخفي نظرا للدور الذي يلعبه في العملية التربوية ويؤكد هذه الأهمية شاينج Chiang 1986 الذي أطلق عليه اسم الجديد الميت وهو يقصد بذلك أنه لم ينال القدر الكافي من البحث من قبل الباحثين والمنظرين التربويين، فعلى الرغم من اعتبارهم بأهميته تبقى تطبيقاته قليلة لا ترتقي للمستوى المطلوب، فهذا النوع من المناهج بحاجة إلى تفعيل داخل المدرسة أكثر من التعمق في التنظير والتصنيف¹¹.

تظهر أهمية تفعيل المنهج الخفي كونه يتبنى المطالب التعليمية والتربوية المعاصرة للمتعلمين ويأتي في مقدمتها التفكير الناقد والإبداعي لديهم وتعزيز المواطنة الصالحة وتدريبهم على مهارات التكنولوجيا المعاصرة.¹²

المطلب الثالث: مساهمة المعلم في تنفيذ المنهج الخفي

من المؤكد وحسب ما توفر بين أيدينا من دراسات وأدبيات حول المنهج الخفي تمت الإشارة إلى مكوناته متمثلة في ترتيب الفصل ووضع الأثاث، المنافع الدراسية التي تمارس فيها النشاطات اللاصفية الجدول الدراسي، ثقافة المتعلم وعلاقتها بالثقافة السائدة.

الفرع الأول: انحياز الكتاب المدرسي، خلفيات المعلمين

تعدّ هذه العناصر الستة متكاملة فيما بينها ولها تأثير قوي في بروز المنهج الخفي سواء في صورته الإيجابية أو السلبية، وفي تناولنا لهذه الجزئية يركز اهتمامنا بخلفيات المعلمين، كأحد المكونات البارزة ودورها في تفعيل المنهج الخفي وفي محاولتنا الإجابة عن السؤال السالف الذكر فإننا نجد أنفسنا أمام نوعين من أشكال التفعيل لهذا المنهج، وهذا ما نجده أيضا في الأدبيات حول الموضوع المتمثلة في إيجابيات المنهج الخفي وسلبيات المنهج الخفي وهي في معظمها تخص توجهات المعلم مع إبراز دور العوامل المؤثرة في سلوكه، وإذا تعمقنا أكثر في التحليل فإن هناك وسائل وموارد تساعد المعلم على تنفيذ المنهج الخفي داخل الصف الدراسي وأخذ في الوجهة الصحيحة، وفي ذات الوقت هناك عوامل قاهرة وإكراهات تحد من فاعلية المعلم وتجعله يقصر في تنفيذ المنهج الخفي، وقد يسيء استخدام سلطته وقد لا يتحمل تبعات تصرفاته وفي هذه المسألة يرى أنتوني جيدنز أنه ربما يكون للمنهج الخفي أثر عميق في تشكيل توجهات التلاميذ أكثر من المناهج الدراسية الأكاديمية نفسها، ويرجع ذلك للمكانة التي يتمتع بها المدرس في نفس الطالب مما يجعله يثق به فيستلهم منه القيم والتوجهات بصورة تلقائية خاصة إذا كان المعلم على قناعة كبيرة بمبادئ معينة فيصبح داعيا لها يؤمن به وفي المقابل حتى يظهر المنهج الخفي من خلال إكراهات منها تردي المقابل المادي للمعلمين، مما يدفع بهم لولوج نشاطات تجارية تستنفذ طاقاتهم وتجعل منهم غير قادرين على تقديم الرعاية الكافية للتلاميذ، بالإضافة إلى نقص الموارد وتأخر المراجع عن مواكبة العصر وظاهرة تكديس الفصل وكذا نوعية التكوين المتاح للمتعلمين كل هذه العوامل وغيرها تؤثر سلبا على قدرات المعلمين وتحدّ من تفاعلهم الخلاق مع التلاميذ ومع البيئة المدرسية.¹³

بالعودة إلى الحديث على خلفيات المعلمين يمكننا تمييز صيغ عديدة تؤثر بطريقة أو بأخرى في شكل الممارسة اليومية للفعل التربوي وتمثل الصيغة الأولى الحالة التي يدرس فيها المعلم مادة لا تمت بصلة لتخصصه، مما يؤثر في أدائه وتجارب التلاميذ كما تمثل الصيغة الثانية عن حالة المعلم الذمي يدرس محتوى علمي غير كفي فيه، وهذا بالضرورة يؤثر على مستوى شرحه، ويمكن أن يتسبب هذا في ضعف التحصيل لدى التلاميذ والمعلم هنا يكون غير واثق من نفسه، ويحاول تغطية ضعفه بالتزامه بالكتاب المدرسي، هذا ما يضعف احتمالات الإبداع والابتكار لدى تلامذته.

تعتبر هذه الصيغ عن الخلفيات العلمية والتعليمية للمعلم، بالإضافة إلى ذلك يمتاز المعلم أو المعلمون بخلفيات ثقافية أو طبقية أو لغوية تؤثر بدون شك على المتعلمين ويكون التأثير هنا في معظم الأحيان سلبي نظراً للتصادم بين

خلفية المعلم وخليفة المتعلم من جهة ومن جهة ثانية يمكن للمعلم أن يكرس الاختلاف بين خلفيته المشابهة للثقافة السائدة وبين خلفية التلميذ الذي ينتمي إلى ثقافة أقلية أما إذا كانت خلفية المعلم غير مطابقة للثقافة التي يدعو لها النظام التربوي فإنه سيواجه صعوبات في شرحها لتلاميذه¹⁴.

يتضح مما سبق أن خلفيات المعلم الإيديولوجية تمثل حدا فاصلا بين ما يراد تمريره لعقل التلميذ وما سيمر بالفعل ويتم ذلك تزامنا مع كل الجهود التي يبذلها أطراف أخرى توافق تشكل شخصية المتعلم بأبعادها المختلفة، ولا يمكننا تجاوز فكرة أنه قد يكون للمعلم من ناحية أخرى دور جوهري في الحد من تجليات المنهج الحنفي على المتعلمين في مستويات متعددة وعلى سبيل المثال في المستوى المعرفي قد يثار النقاش على بعض المعلومات والمفاهيم التي تحمل تناقضات واختلافات في طرق الفهم والاستيعاب فيلجأ المعلم إلى ضرورة استخدام التفكير النقدي حيال ما يقدم لهم من معلومات أو يكتفي بالتنبيه.

وفي المستوى البيداغوجي قد يلعب المعلم دورا إيجابيا إذا كان مطلعاً على الطرق الحديثة في التدريس التي تركز على عدم إهمال الفروق الفردية والذكاءات المتعددة، مما يجعله يستوعب طرق مناسبة للتقييم مختلفة جذريا مع الطرق التقليدية، وفي المستوى اللغوي قد يلعب دورا إيجابيا باستخدام لغة يفهمها الجميع خصوصا في بعض التخصصات العلمية والدقيقة التي تتطلب مستويات عالية الجودة للغة مختلفة يمتلكها عادة أبناء الطبقات الميسورة.

المبحث الثالث: المعلم بين السلطة المعرفية والسلطة الأخلاقية

المطلب الأول: تحديد مفهوم السلطة في المجال التعليمي

يتمتع المعلم في سياق ممارسة التربية بسلطة تفتح له الآفاق لتجسيد المشهد التعليمي في أحسن صورة، وتتميز هذه السلطة بمشروعيتها من خلال اللوائح والقوانين والتشريعات المدرسية بحيث يتمتع المعلم بحرية التصرف وتقدير الأمور في نطاقها، واهتم المنشغلين بالحقل التربوي بتفكيك هذا المفهوم في سياق ديناميكية العلاقات في بنية المدرسة والفاعلين فيها، ومن أبرزهم المعلم، وساقوا العديد من التعاريف نذكر منها شريف فرنك ليونار في مؤلفه حول السلطة والانضباط الصفي موضحاً أن سلطة المعلم ترتبط أساسا بدوره وبالأدوار المطالب بتأديتها باعتباره أحد أهم أطراف العملية التعليمية والقائم على تطبيق المناهج وتحقيق الأهداف المسطرة للتعليم، وسلطة المدرس بالنسبة لفرنك ليونار سلطة معنوية لا علاقة لها بمفهوم السيطرة، بحيث يتمتع بهامش الحرية الكافي لأخذ القرارات اللازمة لإنجاح درسه وفرض جو هادئ يسوده الاحترام والالتزام بمتطلبات الموقف التعليمي¹⁵.

تعدّ السلطة من أهم المفاهيم التي تعرض إليها بيار بورديو والتي تظهر في أعماله التي يصنفها الخبراء في السوسيولوجيا النقدية التي تسعى إلى تشريح الواقع الاجتماعي بحيث تسعى سوسيولوجيا بورديو إلى تعرية واقع الهيمنة والقوة والنفوذ ويعدّ النظام التعليمي من ضمن المجالات التي تناوّلها بالتحقيق والتمحيص والكشف على جوانب لطالما كانت خفية وبالنسبة لمفهوم السلطة يركز تحليله على الفصل بين فئتين فئة تملك سلطة وفئة خاضعة للسلطة تساهم في إنتاج وإعادة إنتاج اللامساواة وما يميز العلاقة بين الفئتين هو ممارسة العنف الرمزي مع الفاعلين في المدرسة.

يعرف بورديو السلطة بأنها ليست شيئاً متوضعا في مكان ما إنما هي عبارة عن نظام من العلاقات المتشابكة وأن بنية كل العالم الاجتماعي ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار من أجل فهم آليات الهيمنة والسيطرة.¹⁶

المطلب الثاني: أهمية السلطة في المجال التعليمي

يشير اميل دور كايم من خلال مؤلفاته إلى أهمية السلطة في بنية الفعل التربوي في قوله أن الإنسان الذي يجب على التربية أن توجده لا يعبر بشكل من الأشكال عن الإنسان في صيغته الفطرية، وإنما تسعى التربية على شكل الإنسان الذي يريده المجتمع بتأكيد مجموعة من الصفات والميزات ويعرف دور كايم التربية مؤكداً على بنية السلطة في الفعل التربوي معبرا بذلك على التأثير الذي تمارسه الأجيال الراشد على الأجيال اللاحقة وتتمحور وظيفتها في تجاوز الجانب البيولوجي لصالح أنماط ونماذج من السلوك الاجتماعي المنظم، وفي هذا الباب تبرز أهمية القسر الاجتماعي والتربوي في عملية التربية.¹⁷

رغم هذه الأهمية لوجوب ممارسة السلطة في المجال التربوي إلا أنه في الآونة الأخيرة اتفقت الآراء على تنامي خطير للانحرافات الأخلاقية في الوسط المدرسي ولربما الأمور خرجت عن السيطرة، بحيث أصبح الفاعلين في المجال من إدارة ومشرفين ومعلمين يجدون صعوبة في خلق بيئة ملائمة للتمدرس، هذا الواقع أصبح مقلقا ويدعو الباحثين لطرح العديد من التساؤلات حول الأسباب والنتائج فهذه الممارسات تحد صارخ للسلطة المدرسية وتقدم مؤشرات خطيرة لفهم الحرية والاستقلالية في سياقات جديدة وفي مستوى آخر هذه الممارسات هي تحد كذلك لسلطة المعلم.

المطلب الثالث: قراءة سوسيولوجية للسلطة الأخلاقية والمعرفية للمعلم

باعتبار السلطة كمفهوم مهم يشير إلى دوره في العديد من القضايا والظواهر التي تمارس في إطار النسق التربوي سواء بشكلها النظامي أو غير النظامي تعتبر إحدى الآليات التي تنظم السلوك ولا يمكننا كذلك فهمها إلا في سياقها المتكامل، فحين نتحدث عن سلطة أخلاقية وسلطة معرفية مثلاً لا يمكننا استيعاب هذا الفصل إلى في إطاره المنهجي.

الفرع الأول: سلطة المعلم الأخلاقية

يولي إميل دور كايم أهمية بالغة للسلطة الأخلاقية التي تتكون عند المربي وذكر ذلك في مؤلفه التربية الأخلاقية أين يتعرض لمعنى السلطة الأخلاقية وأهميتها، وكيف يكتسبها المربي في سياق نشاطه التربوي وبين ضرورة استخدامها بحذر ودون إفراط لتجنب الآثار العكسية على الذات الإنسانية، فعلى العموم الانزلاق في الإفراط سهل ويبقي الاتزان مطلب ضروري ومن الناحية العملية يدعم إميل دور كايم فكرة تغيير المعلم من فترة لفترة لأن إخضاع التلاميذ لفترات طويلة لذات المعلم يصبح بالضرورة نسخة سلبية للنموذج الوحيد الذي وضع أمام أعينهم.¹⁸

يتساءل دور كايم كذلك عن مواصفات المعلم الذي يتمتع بسلطة يعترف ويخضع لها التلميذ طواعية يجب إميل دور كايم قائلاً: "ما دام المعلم هو الذي يشعر الطفل بمعنى القاعدة، فالأمر إذن كله متوقف عليه، فالقاعدة لا تستمد سلطتها إلا عن طريقه الفكرة التي يوحى بها إلى الأطفال عن معنى السلطة، وعلى ذلك فالمسألة تؤول في النهاية إلى هذا السؤال: ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في المعلم حتى يجعل السلطة الأخلاقية تشع من حوله"، نستنتج أنه على المعلم انتزاع الاحترام والامتثال الطوعي لدى التلاميذ فالسلطة إذن صفة أساسية للمعلم ليس لفرض

الهدوء والنظام في الفصل بل لأن عليها تتوقف الحياة الأخلاقية مع كل لقاء في الفضاء المدرسي، ومما لاشك فيه أن هذه السلطة التي يمارسها المعلم هي نتيجة شعوره بالمسؤولية اتجاه الآخرين وتتضاعف هذه السلطة أثناء تفاعله مع التلاميذ وذلك بفضل ما يبعثه في نفوسهم من الثقة والاحترام فيزداد اعتقاده في قيمة نشاطه لأن هذا الاعتقاد يدعمه اعتقاد التلاميذ فيه، وبالتالي تتأسس جسور الثقة وتتوطد مما يدعم ثقته في نفسه¹⁹.

وفق اميل دور كايم فإن هناك علاقة وطيدة بين سلطة العلم وسلطة المعلم هذه العلاقة تشبه بشكل كبير علاقة سلطة الدين وسلطة رجل الدين بحيث يستمد أن معا سلطتها من قيمة أو قدسية العلم والدين، وبذلك يمكننا تفسير تراجع سلطة المعلم بتغير وتراجع سلطة العلم نفس الأمر بالنسبة لسلطة الشرطي التي تتبع حتما سلطة الدولة وسلطة القاضي التي كذلك تتبع سلطة القانون والقضاء، فينتقل الاحترام لكنوز المعرفة والخبرة الإنسانية بصفة آلية إلى من يمثلون تلك المعرفة²⁰.

أما فيما يخص علمنا الإسلامي فلطالما ربط الجميع سلطة المعلم بالمرجعية الدينية وتعالى مرتبته إلى الفقيه، بحيث لم يفضل حينها بين العلوم الدنيوية والعلوم الدينية ويشير كذلك إلى ابن خلدون والغزالي.

ثم انحارت هذه السلطة بفعل عوامل عديدة عبر الزمن وشكلت الثورة الصناعية منعرجا مهما بظهور المدارس الحديثة التي غيرت من شكل التعليم من حيث البنية والوظيفة وتطور دور المعلم وازدادت مهامه تعقيداً وصعوبة، فبعد أن كان مصدرا للمعرفة يعمل على نقلها إلى المتعلم وحشو عقله بما أصبح اليوم ينظر للمعلم على أنه مرشد لمصادر المعرفة وموجه للمتعلمين حسب ما يناسب ميولاتهم ورغباتهم، فهو بذلك مكتشف للمواهب يعمل على تنميتها وبعث الإبداع في التلاميذ²¹، وبهذا شكلت تبعات عصر العولمة بما فيها تطبيقات الإعلام الجديد واقعا جديدا يحيل إلى إعادة النظر في دور المعلم، وكذا أولويات برامج التكوين والتأهيل ويعني ذلك الأخذ بعين الاعتبار المعطى المعرفي والمعطى الأخلاقي القدر الكافي من الاهتمام دون إهمال أحدهما.

يتعارض بورديو مع كل من دور كايم وماكس فالأول يعتبر السلطة كنتاج للسيطرة الطبقية الشيء الذي يعتبره دور كايم كأثر اجتماعي دون أي تقسيم طبقي. كما يختلف على مستوى ثاني ماركس ودور كايم مع فيبر. فهما يعتبران أن علاقات السلطة والنفوذ بمثابة تأثير متبادل بين الأفراد غير أن دور كايم اتجه إلى التركيز على الطابع الخارجي للقهر في حين اتجه ماركس إلى التقليل من فعالية الطابع الرمزي من فعالية واقعية يتبعها اعتراف المغلوب بشرعية هيمنة الغالب. وعليه نجد "فيبر" في موقف معارض لدور كايم وماركس مبررا ذلك بأهمية التمثلات حول المشروعية من تأثير على ممارسة النفوذ وإستمراره رغم كل هذا لكنه لم يتوصل لما طرحه ماركس حول الوظائف التي يطلع بها في قلب العلاقات الاجتماعية تجاهل جوهر وحقيقة هذه العلاقات من حيث أنها علاقات قوة يأتي اجتهد بورديو في سياق هذه المسألة في موقف الموحد لهذه الرؤى كلها وتتجاوزهم في الطرح الموضوعي²².

خاتمة:

وفي الختام حاولنا من خلال هذه الورقة تناول العديد من القضايا المتعلقة بالمعلم والعملية التعليمية وتبيان أهمية الجانب الأخلاقي، وما مدى تأثيره في تحقيق فلسفة وأهداف التعليم في الواقع وتقديم المبررات الموضوعية في تركيزنا على الفاعل التربوي فهو قائد ومحرك العملية التربوية خصوصا فيما يتعلق بالتحديات المستقبلية مع ضرورة التفكير في آليات الارتقاء بدور المعلم وطرق التأهيل بما يمليه الراهن في عصر الإعلام الجديد.

وجاء تناولنا لمسؤولية المعلم في إطار المنهج الخفي دعوة للباحثين لقراءة أدوار في مساحات غير مراقبة وما مدى استعداداه لمرافقة الآخر المتمثل في المتعلم. وهذا يحيل إلى أهمية تأهيل المعلم وتدريبه وكذا التدريب المستمر مع الأخذ بعين الاعتبار الجوانب الاجتماعية والثقافية المحيطة به فالارتقاء بدور المعلم في جوهره ارتقاء بالمنظومة التربوية خصوصا ككل والمجتمع معا. لذلك تشكل المراجعات الجادة لمرتكزات المنظومة التربوية الأبعاد الأخلاقية والقيمية وكذا الوظائف الفعلية للمدرسة بما فيها علاقتها بالمحيط من الضرورات في سبيل خلق بيئة تعليمية متناغمة مع الراهن في مستوى المعرفة والتحولات العالمية المصاحبة للعلومة.

من خلال القراءة السوسولوجية لأهم العناصر السالفة الذكر التي سبق وأن تعمقنا فيها والتي تشكل الموقف التعليمي توصلنا إلى النتائج والتوصيات التالية:

- يرجى من القائمين على الشأن التربوي الأخذ بعين الاعتبار بكل جوانب العملية التربوية بكل جوانب العملية التربوية بما فيها الجانب الأخلاقي الذي تم اهمالها نظرا للمغالطات في تصوراتنا للعملية التربوية خاصة منها الجوانب الخفية.
- دعوة للعاملين على وضع السياسات التربوية مراجعة الإصلاح في المجال التربوي، والإستعانة بالدراسات الاستشرافية التي تركز على الاهتمام بالمعلم المتعلم في ذات الوقت باعتبارهما أهم مرتكزات المنظومة التربوية، وذوات فاعلة تؤسس لمنظومات فكرية واعدة تقود عملية التنمية.
- مراجعة استراتيجية تكوين المعلمين (المكونين) مع ضرورة إدراك أهمية التأهيل الأخلاقي للمعلم من أجل تفعيل الديناميكية الأخلاقية في الموقف التعليمي وأثرها على الجانب النفسي والاندماج الاجتماعي للتلميذ في البيئة التعليمية.
- تفعيل منظومة المساءلة بالنسبة للمعلم من أجل ضمان الحد الأدنى من الأمن الفكري والتوازن النفسي بالنسبة للتلاميذ كآلية للكشف عن مستوى الممارسات المسؤولة في ظل التشريع المدرسي والواجب الأخلاقي ومبادئ أخلاقيات المهنة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب

- الفرحان إسحاق وآخرون، تعليم المنهاج التربوي: أنماط تعليمية معاصرة، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوزيعات، القاهرة، مصر، 2009.
- عفاف عثمان مصطفى، استراتيجيات التدريس الفعال، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2014.
- أميل دور كايم، التربية الأخلاقية، ترجمة محمد بدوي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2015..
- أنتوني حيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، 2005.
- بورديو بيير، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، 2007 .
- دور كايم، أميل، التربية الأخلاقية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.
- وطفة علي أسعد، جاسم علي شهاب، علم الاجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004.

ثانياً: المقالات

- المسلم خالد أسامة، المنهج الخفي ومكوناته ومخاطره، المجلة التربوية المجلد 10، العدد 39، 1996. تالي جمال، الفاعل التربوي في المدرسة الجزائرية أزمة الدور وضرورة التجديد، المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية، المجلد 2، العدد 3.
- رشيد جرموني، المنظومات التربوية العربية بين مظاهر الأزمة وتحديات المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة، مجلة عمران، المجلد 03، العدد 15، 2014.
- فخري العزاوي، فائزة محمد، المنهج الخفي: فلسفته وتطبيقاته التربوية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، المجلد 03، العدد 09-10، جامعة بغداد-مركز البحوث التربوية والنفسية.
- كزيز أمال، بغدادي خيرة، سلطة المدرس وعلاقتها في تفعيل التواصل التعليمي، المجلد 12، العدد 01، 2020 260.
- مكي موسى، المنهج الخفي بين الماهية والتأثير على القيم الدينية والأخلاقية، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، المجلد 18، العدد 4، 2022.
- وطفة علي أسعد، الرسائل الصامتة في المدرسة قراءة إيديولوجية في الوظيفة التطبيقية للمنهج الخفي، المجلة التربوية، العدد 94، 2010.

ثالثاً: مواقع الانترنت

- علي أسعد وطفة، التأهيل الأخلاقي للمتعلم في زمن متوحش، مركز النقد والتنوير للدراسات الإنسانية، متاح على الرابط التالي <https://tanwair.com/archives/16631> 2025/11/17، 14:30.
- في الشأن التربوي، سلطة المدرس هل لها دور في عملية التعليم والتعلم، متاح على الرابط التالي: <https://essahafa.tn/2024/10/16> ، يوم 2025/11/01، الساعة: 14:00.

الهوامش:

- ¹ اميل دور كايم، التربية الأخلاقية، ترجمة محمد بدوي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2015، ص 149.
- ² عفاف عثمان مصطفى، استراتيجيات التدريس الفعال، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2014، ص 29.
- ³ رشيد جرموني، المنظومات التربوية العربية بين مظاهر الأزمة وتحديات المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة، مجلة عمران، المجلد 03، العدد 15، 2014، ص 92.
- ⁴ المرجع السابق، ص 92.
- ⁵ علي أسعد وطفة، التأهيل الأخلاقي للمتعلم في زمن متوحش، مركز النقد والتنوير للدراسات الإنسانية، <https://tanwair.com/archives/16631> 2025/11/17، 14:30.
- ⁶ رشيد جرموني، المرجع السابق، ص 93.
- ⁷ وطفة علي أسعد، المرجع السابق، ص 18.
- ⁸ وطفة علي أسعد، الرسائل الصامتة في المدرسة قراءة إيديولوجية في الوظيفة التطبيقية للمنهج الخفي، المجلة التربوية، العدد 94، 2010، ص 95.
- ⁹ وطفة علي أسعد، جاسم علي شهاب، علم الاجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004، ص 183.
- ¹⁰ الفرحان إسحاق وآخرون، تعليم المنهاج التربوي: أنماط تعليمية معاصرة، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوزيعات، القاهرة، مصر، 2009، ص 26.
- ¹¹ فخري العزاوي، فائزة محمد، المنهج الخفي: فلسفته وتطبيقاته التربوية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، المجلد 03، العدد 09-10، جامعة بغداد-مركز البحوث التربوية والنفسية، 2006، ص 57.
- ¹² مكي موسى، المنهج الخفي بين الماهية والتأثير على القيم الدينية والأخلاقية، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، المجلد 18، العدد 4، 2022، ص 93.
- ¹³ أنتوني حيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، 2005، ص 515.
- ¹⁴ المسلم خالد أسامة، المنهج الخفي ومكوناته ومخاطره، المجلة التربوية المجلد 10، العدد 39، 1996، ص ص 98-99.
- ¹⁵ في الشأن التربوي، سلطة المدرس هل لها دور في عملية التعليم والتعلم، متاح على الرابط التالي: <https://essahafa.tn/2024/10/16/> ، يوم 2025/11/01، الساعة: 14:00.
- ¹⁶ بورديو، بيار، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، 2007 ص 49 .
- ¹⁷ وطفة علي أسعد، المرجع السابق، ص ص 72، 73.
- ¹⁸ دور كايم، اميل، التربية الأخلاقية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ص ص 146-147.
- ¹⁹ المرجع السابق، ص 149.
- ²⁰ المرجع السابق، ص ص 146-147.
- ²¹ تالي جمال، الفاعل التربوي في المدرسة الجزائرية أزمة الدور وضرورة التجديد، المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية، المجلد 2، العدد 3، ص 11.
- ²² كزير أمال، بغداداي خيرة، سلطة المدرس وعلاقتها في تفعيل التواصل التعليمي، المجلد 12، العدد 01، 2020، ص ص 260-261.